

خصائص ومميزات الإجازات في توات
" إجازات العائلة البلبالية نموذجاً "

(Characteristics and advantages of vacations in Tawat)

"Balbali family Licence as a model"

• مريم خالدي (Khalidi Meriem).

استاذة محاضرة "ب"

البريد الإلكتروني: mer.khalidi@univ-adrar.edu.dz.

ملخص:

من خلال إطلاعنا على التراث الثقافي الذي خلفه علماء و فقهاء توات، يلفت نظره تلك الاجازات العلمية المتنوعة المحفوظة في حراتها ، والتي تشكل قيمة تراثية كبيرة لتأريخ للمنطقة، والترجمة لعلمائها وسيرهم العلمية، ومن خلال تلك النصوص يمكن أن نستدل على تاريخ بعض العائلات العلمية التي كانت مشتهرة بعلمائها في الإقليم، كالعائلة البلبالية و التي كان لها حصة الأسد من تلك النصوص.

كلمات مفتاحية: إجازات. توات. العائلة البلبالية.

Abstract:

By informing us of the cultural heritage left behind by Tuat scholars and jurists, his attention is drawn to the various scientific Licence preserved in their vaults, which constitute a great heritage value for the history of the region, and the translation of its scholars and their scientific biographies. Through these texts, we can infer the history of some of the scientific families that were It is famous for its scholars in the region, such as the Al-Balbalia family, which had the lion's share of these texts.

Keywords: Licence; Tuat; The Balbali family.

1. مقدمة:

لقد شهد إقليم توات إبان القرن الثاني عشر حركة ثقافية نشيطة، فقد كان للعلماء والفقهاء دور بارز في تنشيط الحياة العلمية بالإقليم، والمطلع على التراث الذي خلفه علماء توات، يلفت نظره تلك الإجازات التي كتبها علماءها لتلاميذهم وفقهائهم، و التي تشكل قيمة تراثية كبيرة لتأريخ للمنطقة، ومن خلال تلك النصوص يمكن أن نستدل على تاريخ بعض العائلات العلمية التي كانت مشتهرة بعلمائها في الإقليم، كالعائلة البلبالية و التي كان لها حصة الأسد من تلك النصوص، وهو ما سنحاول تسليط الضوء عليه من خلال هذه الورقة العلمية فماهي مميزات وخصائص الإجازات التواتية وخاصة إجازات العائلة البلبالية ؟

تكمن أهمية الموضوع في ابراز القيمة العلمية التي تحتويها النصوص الإجازية بمنطقة توات، من خلال التأريخ لأعلام المنطقة ومعرفة تراجمهم، وسيرهم العلمية، من جهة وجهة أخرى لتبيان أهميتها في الكشف عن التراث العلمي والفكري لمنطقة توات. معتمدة في ذلك على المنهج التاريخي.

و لدراسة الموضوع قسمت البحث للعناصر التالية:

- التعريف بإقليم توات.
- التعريف بالعائلة البلبالية.
- مميزات اسانيد إجازات البلبالين

1- التعريف بإقليم توات:

تباينت آراء المؤرخين حول تفسير أصل التسمية (توات) حيث شملت معاني متباينة منها من يرجعها إلى أصول بربرية ، والبعض يؤكد على أنها عربية، و هناك من يورد المعنى على حادثة تاريخية ويسقطها على مدلول اللفظ.

فهناك من يرجع أصل التسمية إلى إحدى قبائل الصحراء الملمثين بالجنوب الجزائري، ويرجعها بعضهم الآخر إلى أصل أعجمي حيث أطلقتها قبائل لتون عندما لجأت إلى هذا الإقليم في منتصف القرن

6هـ¹، ويذكر السعدي أن أصل الكلمة تكروري بمعنى وجع الرجل " وعلى موضع توات فتحلف هناك كثير من أصحابه لوجع رجل أصابه في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم فانطلقوا بها وتوطنوا فيها فسمي الموضوع باسم تلك العلة"².

و هناك رواية أخرى يرجعها مولاي أحمد الإدريسي الطاهري إلى ان توات سميت بهذا الإسم لأنها تواتي العبادة³، الا أن الأرجح والأقرب إلى الصواب هو أن اسم توات إسم أمازيغي قديم، قدم قبائل زناتة التي خطت الإقليم وعمرته ثم أعقبتها قبائل بني معقل العربية التي ساهت في تعريبه وانصهر ساكنيه في بوتقة واحدة.

ومن هنا فما دام الفرع هو القصور التواتية قد وضع بربريا ، فإن الأصل لابد أن يكون بربريا . وهذا ما جعل الأصل الامازيغي أقرب واقوى من العربي لأن معظم تسميات القصور بداخله أمازيغية، فكيف يكون الفرع بربريا بينما الأصل عربي؟ إضافة الى ما يدعم أن توات اسما امازيغيا هو أن معظم قصورها تبدا تسمياتها بحرف التاء مثل تمنطيط ، تماسخت، تاوريت، تيميمون، تيط، وهي ذات معنى أمازيغي، وهو ما يثبت أن تكون تسمية توات ذات أصل امازيغي⁴.

و إقليم توات مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية، يتربع على أجزاء كبيرة من مساحة ولاية أدرار و أجزاء من ولاية تمنراست، يحده من الناحية الشمالية العرق الغربي الكبير، و وادي امقيدن ومن الجنوب صحراء تنزروفت و وادي قاريت هضبة مويدر أما من الغرب فيحده وادي الساورة⁵.

¹ - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م، ص 2.

² - عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تحقيق: هودسن، مطبعة بردين 1898م، ص 7.

³ - مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار ، ص 12.

⁴ - محفوظ رموم، "توات الجغرافيا والمصطلح من خلال المونوغرافيا المحلية و الأجنبية" مجلة الحوار افكري، العدد 12، ديسمبر 2016م، ص 89.

⁵ - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر ج 1، ص 58.

أما فلكيا فيقع الإقليم بين خطي طول 1 شرقا و 3 غربا، وبين دائرتي عرض 20 الى 30 شمالا، وبالتالي فإن خط غرينتش ودائرة مدار السرطان يتقاطعان بقليم توات⁶. وقد شكل الإقليم نقطة تواصل هامة بحكم موقعه الجغرافي بين حواضر ومدن المغرب الإسلامي في الشمال والمراكز الحضارية الواقعة جنوب الصحراء⁷، ويتوزع الإقليم على ثلاثة مناطق من الشمال إلى الجنوب وهي:

- منطقة تيجورارين: وتسمى بال تشمل مناطق من تسايت إلى تيلكوزة.

-منطقة توات الوسطى: وبدأ من رقان إلى تسايت.

- منطقة تيديكلت: يبدأ من فقارة الزوى إلى تمقطن⁸.

2- التعريف بالعائلة البلبالية:

يعود نسب الأسرة البلبالية التي قدمت الى توات إلى الوالي الصالح أبو زيد الخزرجي الذي أكد قدومه من شبه الجزيرة العربية، أين ينتهي نسبهم الى سيدنا أيوب رضي الله عنه، فبعد مضي مدن من الزمن خرج أبي زيد بن عبد الحاكم بن يوسف بن يحي الخزرجي إلى المغرب و استقر بتنايفلات ودفن بها⁹، و خلف أبو زيد ولدان وهما أبو القاسم وأحمد الفقيه، هذا الأخير استقر بتلبالة بواد الساورة، و وخلف له خمسة أبناء وه الذين ارتحلوا من تلبالة إلى توات وهم على التوالي: الحاج محمد، الحاج بلقاسم، الحاج علي، الحاج عبد الرحمن، الحاج عبد الله.

وعليه فإن الاسرة البلبالية القاطنة بقصور توات ارتبطت نسبها بقبيلة الأنصار الذين نصره النبي ،

إذ يذكر الشيخ سيدي عبد العزيز البلبالي في قصيدة عن مناقب والده معرضا نسبه يقول فيها:

أبي وشيخي ومعتمدي حمد بن أبي زيد علا شرفا

⁶ - سالم بوتدارة، الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، اشراف: حنيني هلايلي، جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس، 2016/2015، ص 30.

⁷ - مبارك جعفري، جوانب من الحياة الأسرية في توات بالجنوب الجزائري من خلال النوازل الفقهية (ق12/هـ/18م)، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد 52، ديسمبر 2019م، ص 24.

⁸ - أحمد جعفري: من تاريخ توات أبحاث في التراث، منشورات الحضارة 2011، ص 492.

⁹ - عابد سفيان، شازي بوعلام، "سلسلة لتراجم العلماء الأسرة البلبالية في السودان الغربي"، مجلة إضاءات علمية العدد الأول، 2021م، ص 45.

بلبالي نسبة توات منشأة ملوكة بلدته آباؤه حنفا

أنصاري الأصل قد أتانا عن نبأ من الآباء ففن طرف¹⁰

عرفت هذه العائلة بكثرة تنقلاتها ، حيث اختلفت الآراء حول دخول البلبالين إلى توات حيث ذكرت الباحث الفرنسية دومنيك شومبو أن العائلة قد هاجرت من تبلبالة الى توات عندما تم تدمير أحد قصوره من قبل البدو الرحل الرحامنة بسبب امتناعهم عن دفع الضريبة، وجاء في التقيد الموجود بخزانة أدغاغ أن سبب ارتحالمهم إلى القحط والجفا ف الذي ضرب منطقة تبلبالة ففكروا في الرحيل إلى توات التي سمعوا عنها الكثير .

و بتوات نزلت العائلة البلبالية بقصر تسايت بإعتباره أول عمالة تواتية، ثم استقر بهم الحال بقصر أدغاغ سنة 1013هـ ، وشيدوا حيهم المعروف " بزقاق بلبالة". وقد مكثوا بأدغاغ فترة طويلة، ليستتر بهم الحال بقصر ملوكة أين شيد الحاج بلقاسم زاوية له في القصر سنة 1034هـ، وتتوزع الاسرة البلبالية في توات والتي يتصل نسبها الى الأسرة البلبالية بتلبالة بمناطق عديدة نذكر منها : قصر برينكان، تميمون، أولاد راشد وتيمي وغيرها¹¹.

وقد توزعت الأسرة البلبالية في عمالة توات ضمن ثلاثة مراكز أساسية:

أ- مركز ملوكة: يقع قصر ملوكة غرب مدينة أدرار بين بلدية بودة غربا و قصور برع و أدرار شرقا، يعود تأسيسها الى الحاج بلقاسم، الذي كما أسفنا الحديث عن تأسيسه زاوية له بالمنطقة عرفت بزواوية البلبالين .

ب- مركز كوسام: يبعد قصر كوسام عن مقر الولاية أدرار بحوالي 7 كليومتر، يتبع إداريا إلى بلدي أولاد أحمد تيمي، برزت كوسام كمركز علمي بعد انتقال البلبالين إلى المنطقة و تأسيس الشيخ سيدي الحبيب البلبالي مدرسة هنالك.

¹⁰ - محمد عبد العزيز سيدي عمر ، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، دار هوة، الجزائر، 2002، ص 30

¹¹ - سالمى كريمة، الأسرة البلبالية و إسهاماتها العلمية ف منطقة توات خلال القرنين 19 و 20م، أطروحة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية كلية العوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2020/2019م.

ج- مركز بني تامر: يقع قصر بني تامر شرق منطقة تيمي ويتمي إداريا، إلى بلدية أولاد أحمد ، ويبعد عن مقر الولاية ب 5 كلم.

د - مركز برينكان: قصر برينكان يقع هذا المركز في قصر تسايت، يبعد عن مقر البلدية بحوالي 12 كلم تقريبا ، اشتهر القصر بوجود زقاق جميع ساكنيه من أفراد الأسرة البلبالية دون سواهم¹².

3- مميزات اسانيد إجازات البلبالين:

بعد الاطلاع على بعض الاجازات لعلماء الاسرة البلبالية نجدها غالبا يتكون من نصين منفصلين أحدهما: نص الإستدعاء أو الإستحارة و هو النص الذي يقدمه المستجيز الذي يسأله الإجازة و ثانيهما نص الإجازة و هو النص الذي يكتبه المجيز بيده أو يد غيره و يوقع عليه و سنحاول التركيز على العنصر الأخير و هو " الإجازة" حيث غالبا ما تحوي النقاط التالية:

3-1: المقدمة أو الإفتاحية الدينية:

و تعتبر الافتتاحية الدينية أحد المكونات الأساسية لنص الاجازة تشمل غالبا على البسمة أو الحمدله و الصلاه على الرسول ، ثم يستفيض قليلا في الإشارة إلى فضل العلم والعلماء¹³.

3-2: العرض :

يحتوي العرض في نص الاجازة على الموضوع المقصود وهو منح الاجازة ، ومجموعة من الأفكار الأساسية وتمثل في أمور ثلاثة:

- ذكر المستجيز: ويسمى تسبيب الاجازة أي السبب الذي حمل المجيز على كتابة الإجازة ومنحها فنجد المجيز يذكر أن فلانا بن فلان قد طلب منه الاجازة بعد أن أخذ منه جملة من العلوم، أو قرأ عليه كتابا من الكتب، أو متن من المتون، وأنه سأله بعد ذلك أن يكتب له في ذلك إجازة، وغالبا ما يذكر

¹² - المرجع السابق، ص 88.

¹³ - عبد الرحمن بن حسان ، الإجازات العلمية لدى علماء توات ما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر الهجريين ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة أدرار ، 2013/2014م، ص 47.

المجيز المستجيز بعبارات الثناء والتبجيل، والاطناب في ألقاب توحى بأهلية المستجيز على تحمل ما يجاز فيه.

- **تواضع المجيز:** غالبا ما نجد المجيز في الإجازات البالبالية بعد ذكر المستجيز و استداعه للإجازة يورد عبارات بأنه ليس أهلا لمنح الإجازة، مستعينا في ذلك بما يورد في ذلك المقام من ايات قرآنية أو أمثال أو أبيات شعبية . في المقابل يصف المستجيز بعبارات الثناء، وهو سلوك أخلاقي يسلكه الشيوخ في إجازاتهم ، ينم عن تواضعهم و مكارم أخلاقهم، و هو في نفس الوقت رسالة تربوية إلى المستجيز ليدرك معناها و يعمل بمقتضاها.

- **التصريح بالإجازة:** يعتبر التصريح بالإجازة النواة الأساسية في نص الإجازة: و المقصود بذلك هو الإذن الذي يمنحه المجيز للمستجيز بأحد مشتقات الإجازة أو ما فيه معنى الاذن، وتكون الاجازة خاصة ، إذ لم يصرح بأسمائها فتكون إجازة عامة ومطلقة¹⁴ .

3-3: الخاتمة:

إن الخاتمة في الإجازة من الأجزاء الأساسية التي نجدها في جميع الإجازات وغالبا ما تتكون من عدة مواضيع منها: الوصية كالوصاية بالتقوى أو الوصاية بالتحري في طلب العلم. ونجد أيضا من يجعل خاتمه إجازاته الدعاء للمستجيز، أو طلب الدعاء منه، مع ذكر الله بالحمد أو مقرونا بالصلاة على الرسول

3-4: التوقيع :

يعد التوقيع آخر الاجازة من الأمور التي توجد في أغلب الإجازات والذي يرمز إلى موافقة المجيز على ما ورد في نص الإجازة.

وفي الأخير من خلال ما تقدم في هذا البحث يمكن أن نخص لنتائج التالية :

¹⁴ - عبد الرحمن بن حسان، المرجع السابق، ص 142.

- 1- تبوأ منطقة توات مكانة علمية كبيرة في حواضر الصحراء الجزائرية، بفضل مراكزها العلمية التي ساهمت في نشر العلم والمعرفة داخل توات وخارجها، فبرزت بذلك أسر علمية كان لها دور بارز في المشهد العمي والثقافي بتوات
- 2- تعتبر الإجازات البلبالية شهادة علمية للمجاز تثبت حقيقة تلمذ الطالب على شيخه، وأهليته لتولي مناصب مختلفة .
- 3- تعد الاسرة البلبالية من أكبر الأسر العلمية التي توزعت في قصور منطقة توات، ومن خلال النصوص الاجازية التي حفظتها خزائن توات يمكن الاستدلال على تاريخ هذه العائلة ونشاطها العلمي في تلك الفترة.
- 4- تميزت الإجازات البلبالية ببساطة وسهولة نصوصها بعيدا عن التعقيد، وذلك لتناسب مع الهدف المقصود الذي كتبت من أجله الاجازة.
- 5- القيم الأخلاقية التي حوتها نصوص اجازات البلبالين من عبارات التبجيل والاحترام والتواضع بين الشيوخ و الطلبة .

قائمة المراجع:

- 1- الإدريسي مولاي أحمد الطاهري ، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار
- 2- بلعالم محمد باي ، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1، دار هومة، الجزائر .
- 2 - جعفري أحمد: من تاريخ توات أبحاث في التراث، منشورات الحضارة 2011.
- 3- السعدي عبد الرحمن ، تاريخ السودان، تحقيق: هودسن، مطبعة بردين 1898م،.
- 4- سيدي عمر محمد عبد العزيز ، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، دار هومة، الجزائر، 2002.
- 5- فرج محمود فرج، إفليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م.
- 6- بوتدارة سالم ، الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، اشراف: حنينفي هلايلي، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، 2016/2015،
- 7- سالمى كريمة، الأسرة البلبالية وإسهامها العلمية ف منطقة توات خلال القرنين 19 و 20م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية كلية العموم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2020/2019م.

- 8- رموم محفوظ ، "توات الجغرافيا والمصطلح من خلال المونوغرافيا المحلية و الأجنبية" مجلة الحوار افكري، العدد 12، ديسمبر 2016م.
- 9- جعفري مبارك ، جوانب من الحياة الأسرية في توات بالجنوب الجزائري من خلال النوازل الفقهية (ق12هـ/18م)، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد 52، ديسمبر 2019م.
- 10- عابد سفيان، شاري بوعلام، "سلسلة لتراجم العلماء الأسرة البلبلية في السودان الغربي"، مجلة إضاءات علمية العدد الأول، 2021م.